المقصد التداولي لحرف الجر (إلى) في القرآن الكريم

أ.م.د. واثق غالب هاشم

الجامعة المستنصرية / كلية التربية

م.م. علي محسن حكيم

مديرية تربية الرصافة الثانية

Br.wathiq76@gmail.com

The purpose of the preposition (to) in the Holy Qur'an

Wathiq Ghaleb Hashem Ali Mohsen Hakim

ملخص البحث :

يُعد هذا البحث قراءة إجرائية من الوجهة التداولية لدلالة حرف الجر (إلى) في التراكيب القرآنية التي اشتملت على هذا الحرف ، وما يؤديه في هذه التراكيب من أفعال كلامية إنجازية التي تمثل القصد من الكلام ، وما قد ينطوي عليه من فعل تأثيري ، باسترفاد المنهج التداولي الذي يتسم بعمق التحليل وتنوع الروافد والأدوات للظفر بالمقاصد . **الكلمات المفتاحية** : المقصد ، التداولية ، حرف الجر .

Abstract:

This research is a procedural reading from the pragmatic point of view of the significance of the preposition (to) in the Qur'anic structures that included this letter، and what it performs in these structures of verbal verbs that represent the intent of speech، and what it may involve of an effective act، by using the deliberative approach that It is characterized by the depth of the analysis and the diversity of the tributaries and tools for achieving the purposes. intent، pragmatic، grammar، preposition: **Keywords**

توطئة :

يعمد البحث إلى الخوض في غمار تحليل بعض التراكيب القرآنية المشتملة على حرف الجر (إلى) ، وذلك في ضوء نظرية الأفعال الكلامية ؛ لبيان الأثر الذي يؤديه هذا الحرف في معنى الفعل الكلامي ، بالاستناد إلى محورين رئيسين ، هما : القصدية ، والتأثير . فالمراد من القصدية هو إيثار الذكر الحكيم الإتيان بحرف الجر (إلى) في تراكيب معينة ، قد يبدو للمتلقي عدم الحاجة إلى ذكره ، أو إيثار ذكره في تركيب معيّن دون غيره من الحروف ، الأمر الذي أدّى إلى ظهور الخلافات بين المفسرين في معناه ، لذلك قيل : إنّ آيات القرآن الكريم قطعيّة الثبوت ، ظنّيّة الدلالة[١] . أما المراد من التأثير فهو بيان ما تركته هذه القصدية من أثر لدى المفسرين ، ظهر في تفاسيرهم ، فالقصدية تقابل الفعل الإنجازي في نظرية الأفعال الكلامية ، والتأثير يقابل الفعل التأثيري فيها .ولأن التداولية –بعبارة موجزة– تعني ((دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل))[٢] فقد امتازت بعمق التحليل والوقوف عند مقصد المتكلم ، إذ تستند إلى الفعل الكلامي الذي يقوم على القصد . وحريّ بالذكر أن عناية أوستن وكذلك سيرل قائمة على الفعل الكلامي الإنجازي ؛ ذلك لأن هذا الفعل ذو صلة وثيقة بقصد المتكلم ، وعلى المتلقي بذل الجهد للوصول إلى هذا القصد ، ومن هنا يقوم مفهوم قصد المتكلم الذي يُعبَّر عنه بالإنجاز بدور مركزي في نظرية الفعل الكلامي[٣] . وعلاوة على ذلك كله ، إن حروف المعاني في العربية " ممثلة بصدق ودقة لنظرية الأفعال الكلامية كما يتصورها الفكر المعاصر ، ولذلك صحَّ في تصورنا أن تُعد تلك المعاني والإفادات والمقاصد (أفعالا كلامية) باعتبارنا نتعاطاها عبر الرؤية التداولية "[٤] ، فهي ليست مجرد دلالات ومضامين لغوية ، وإنما هي فضلا عن ذلك إنجازات وأغراض تواصلية حصيلتها التغيير وصنع الأحداث والتأثير[٥] .وحرف الجر (إلى) من تلك الحروف ، أي حروف المعاني ، ومما يمكن أن يكون له هذا التمثيل لنظرية أفعال الكلام ، ولا يمكن أن يكون تمثيله كاملا إلاّ إذا ارتبط بالعامل والمعمول ؛ لينتظم الفعل الكلامي بصورةٍ بسيطةٍ وسليمة ، فتتحقق فيه جميع الأفعال الفرعية (الفعل اللفظي ، والقضويّ ، والإنجازيّ ، والتأثيريّ) ، وهذا ما سيتوخاه البحث في تحليل التراكيب القرآنية .ونظراً لكثرة الآيات القرآنية التي ورد فيها حرف الجر (إلى) فقد اقتصر البحث على نماذج منتقاة من تلك الآيات؛ خشية الإطالة وتجنبًا للتكرار .

- ومن تلك النماذج ، قوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [٦] .استفهم المفسرون عن السبب الذي من أجله عُدّي فعل الخلوة بـ(إلى) ؛ لأن تعديه بـ(الباء) أكثر شيوعا في لغة العرب ، فيقال : خلا الرجلُ بصاحبه ، أي : انفرد به في خلوة ، ومنه قول مجنون ليلى[٧]:

إذا جاءني منها الكتابُ بعينهِ خلوتُ ببيتي حيثُ كنتُ من الأرضِ

وكذلك منه قول عمر بن أبي ربيعة[٨] :

فقلنَ لها : لا بلْ تمنَّيتِ مُنيةً خلوتِ بها عندَ الهوى والتذكُّرِ

فرجعوا إلى لغة العرب ، ولاحظوا أن التركيب المكوّن من (خلا + الباء) يعطي دلالتين ، إحداهما: الانفراد كما تقدّم ، والثانية : هي المخادعة ، يقال : فلانٌ يخلو بفلانٍ ، إذا خادعه[٩] ، أو سخِرَ منه[١٠] ، على إثر هذا نصَّ بعضهم على أن المقصدية من تعدي فعل الخلوة بـ(إلى) دون الباء هو لتلافي إلتباس المعنى عند المتلقين ، بأن المراد هو الانفراد وليس المخادعة أو السخرية ، فهذا الطبريّ يقول : " قد اختلف في ذلك أهل العلم بلغة العرب ، فكان بعض نحويّي البصرة يقول : يُقال : خلوتُ إلى فلانٍ ، إذا أريدَ به : خلوتُ إليه في حاجة خاصة ، لا يحتَمِل – إذا قيل كذلك– إلاّ الخلاءَ إليه في قضاء الحاجة . فأما إذا قيل : خلوت به ، احتمل معنيين: أحدهما الخلاء به في الحاجة ، والآخَر في السخرية به . فعلى هذا القول ، (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ) ، لا شكّ أفصحُ منه لو قيل : وإذا خلوا

بشـــياطينهم ، لما في قول القائل: إذا خلوا بشـــياطينهم ، من التباس المعنى على ســـامعيه ، الذي هو مُنتفٍ عن قوله : (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ)"[١١] ، وجوّز الزمخشريّ " أن يكون من (خلا) بمعنى : مضى، وخلاك ذمّ ، أي : عداك ومضى عنك . ومنه : القرون الخالية ، ومن (خلوت به) إذا ســـخرت منه . وهو من قولك : خلا فلانٌ بعِرضِ فلانٍ يعبثُ به . ومعناه : وإذا أنهوا الســـخرية بالمؤمنين إلى شـياطينهم وحدّثوهم بها. كما تقول : أحمدُ إليكَ فلاناً ، وأذمّه إليك"[١٢] . وذهب ابن عطية الأندلســيّ إلى القول بأن فعل الخلوة متضــمن معنى الذهاب والانصــراف ؛ لأنه معادل لفعل اللقاء ، ونصَّ على تضــعيف رأي القائلين بأن (إلى) بمعنى الباء أو (مع) ، وعدّه في غاية الضعف[١٣] والمتأمّل للفعل الكلاميّ (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ) يُلاحظ أمورًا ، أهمها :

١-الإخبار عن أنّ هؤلاء المنافقين سيلتقون برؤسائهم من الكفار ، أو اليهود الذين أمروهم بالتكذيب؛ لأن الإتيان بالظرف (إذا) مع الفعل الماضي يُراد به ما يُستقبل من الزمان ، فهذه الخلوة إن لم تكن حاصلة فستحصل ، وفي ذلك تنبيه وتحذير للمسلمين من الذين يكيدون لهم

٢-إن الطريقة التي يلتقي بها هؤلاء المنافقون مع شياطينهم بالاستتار عن أعين المسلمين ودون علمهم ، يستلزم أنَّ قلوبهم يملؤها الخوف من سطوة المسلمين عليهم والنكال بهم لصنيعهم هذا ، وهؤلاء المنافقون إنما دخلوا في الإسلام لحقن دمائهم وحفظ أموالهم لا غير ، فهم ما زالوا مشركين ، لكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد ، ففضحهم وكشف أمرهم .

٣-إن الخلوة عند تعدّيها بالباء قد تحتمل أن تكون في الأمور الإيجابية أو السلبية ، حسب نوع الخلوة . أما الخلوة عند تعديتها بـ(إلى) فلا يكون إلاّ لأمرٍ سلبي من الأمور، ولا تحتمل الأمر الإيجابي ، ولذلك كان استعمال التعبير القرآني للحرف(إلى) مع فعل الخلوة اثبات حالة النفاق لدى هؤلاء ، وهو أمر سلبي كما لا يخفى .

٤-يُفهم مما تقدم أن الفعل الكلامي (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَـــيَاطِينِهِمْ) هو فعل متضـــمن لقوتين إنجازيتين ، الأولى هي الإخبار ، والثانية هي التنبيه أو التحذير ، والفعل الكلامي من النوع غير المباشر .

- قال تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ [١٤] .جاء في لســان العرب : " الرَّفث : الجُماع وغيره مما يكون بين الرجل وامرأته... وأصــله قول الفحش . والرفث أيضــاً : الفحش من القول ، وكلام النساء في الجماع؛ تقول منه : رَفَثَ الرجلُ وأرفث ... وقد رَفَثَ بها ومعها "[١٥] ، فالظاهر أن فعل الرفث يتعدى بالباء ، وهذا الأمر دفع أهل التفسير إلى القول بأن (الرفث) ههنا متضمنٌ لمعنى الإفضاء، يقول الأخفش : " إنَّما دخلت (إلى) لأن معنى (الرَفَث) و(الأفضــاء) واحد، فكأنه قال : الافضــاءُ إلى نِســائِكُمْ ، وإنما يقال : رَفَثَ بامرأَتِه ، ولا يقال : إلى امرأته ، وذا عندي كنحو ما يجوز من (إلى) في مكان الباء "[١٦] ، وتبعه على هذا جمع من المفسرين[١٧] ، ويعلل الزمخشريّ السبب في اختيار لفظة (الرفث) الدالة على معنى القبح والتعبير بها عن الجماع بدلا من غيرها من الألفاظ ، وذلك " استهجانا لما وجد منهم قبل الإباحة ، كما سمّاه اختياناً لأنفسهم "[١٨] ، وذكر الطبرسيّ في سبب نزول الآية أنه " كان الأكل محرما في شهر رمضان بالليل بعد النوم ، وكان النكاح حراما بالليل والنهار في شهر رمضان ، وكان رجلٌ من أصحاب رسول الله يقال له مطعم بن جُبير... شيخاً ضعيفا ، وكان صائما فأبطأت عليه أهله بالطعام ، فنام قبل أن يفطر ، فلما انتبه قال لأهله : قد حرُم عليَّ الأكل في هذه الليلة ، فلما أصبح حضر حفر الخندق ، فأغمي عليه ، فرآه رسول الله فرقَّ له ، وكان قوم من الشباب ينكحون بالليل سرّاً في شهر رمضان، فأنزل الله الآية ، فأحلَّ النكاح بالليل في شهر رمضان "[١٩] ، ويذكر الواحدي أن المسلمين فرحوا فرحًا شديدًا بعد نزول هذه الآية[٢٠]، فكان المسلمون يتحرّجون عن ذلك ظناً منهم أنه من تتمة الصــوم ، ورأوا أنْ لا صــبرَ لأنفســهم عن عدم إتيان النســاء[٢١] ، ولعل في هذا ســبب في ترجيح (إلى) على (الباء) في تعدية الرفث ، والمعنى : أُحلَّ لكم الانتهاء إلى نسائكم في ليلة الصيام .فالفعل الكلامي (أُحلَّ لكم الرَّفثُ إلى نسائكم ليلة الصيام) يتضمن افتراضا سابقا وهو أن الجماع في ليلة الصيام كان محرمًا ، والآية بنزولها نسخت هذه الحرمة ، وشرَّعت الحِلّية ، ويُشعر به أو يدل عليه قوله تعالى : (أُحلَّ لكم)[٢٢] ، كما أن العنصر الإشاريّ الشخصيّ الذي يُحيل عليه الفعل (أُحلَّ) محذوف للتعظيم ، ولدلالة سياق الحال عليه ، وهو الله تعالى ، وإن كان الفعل مبنياً للمجهول ، لكن الفعل يقتضــي وجود فاعل حلّل الجماع والمأكل والمشــرب في ليلة الصــيام بعد أن كانوا مُحرَّمين، لذا فإن الفعل الكلامي (أُحلَّ لكم ليلة الصيام الرَّفثُ إلى نسائكم) متضمن لفعل قضويّ هو تحليل الجماع ليلة الصيام ، ومتضمن لقوة إنجازية واحدة هي الإخبار عن هذه الحِلّية، فهو بذلك فعل كلامي مباشر ، والفعل التأثيري متمثل بالفرح الشديد الذي حفَّ بالمسلمين وأحاط بهم بعد تلقي هذا الإخبار .

- قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[٢٣] .للمفسرين في بيان معنى الفعل الكلاميّ (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) أقوال ، فمنهم من قال إنه بمعنى قطّعهن وفرّقهن ، ومنهم من قال إنه بمعنى أملْهنَّ وضمَّهن ؛ لأن الفعل (صار) من المشتركات اللفظية ، فهو بمعنى الجمع والقطع ، يُقال : صُرتُ الشيءَ ، إذا قطّعتُه وفرّقته ، وصُرته : إذا جمعته[٢٤] ، وقد ورد في الشعر بمعنى الإمالة ، قال كثير عزة[٢٥] :

بجِيدٍ كجيدِ الرِّئمِ حالٍ تُزيّنُهُ غدارُ مسترخي العقاصِ يصورُها

أي : يُميلها ، ومنه قول الطرماح[٢٦] :

عَفائفُ إلاّ ذاكَ أو أنْ يصورَها هوىً والهوى للعاشقينَ صَروعُ

وينص الفخر الرازيّ على إجماع أهل التفسير بأن المراد من (فَصُرْهُنَّ) هو (قطّعهن) ، فإن إبراهيم (عليه السلام) قطّع أعضاء الطيور وخلط بعضها مع بعض ، وينقل عن أبي مسلم الأصفهاني أن المراد من (فَصُرْهُنَّ) هو الإمالة والتمرين على الإجابة ، والمعنى المفهوم هو تعويد هذه الطيور الأربعة أن تصير بحيث إذا دعاها (عليه السلام) أجابته وأتت إليه[٢٧] . ويذهب الزمخشريّ إلى أن المراد هو الضم ، والتقدير : فضمّهن إليكَ ، ويضيف أن الفائدة من ضم الطيور إليه (عليه السلام) ليتأملها ويعرف أشكالها وهيآتها ، لئلا تلتبس عليه بعد إحيائها ، وألاّ يتوهم أنها كانت على غير ذلك[٢٨] .ويصرّح العلامة الطبرسيّ أنه " ثبت أن الميل والقطع ، يقال في كل واحد منهما أيضاً : صار يصير. فمن جعل (فصرهن إليكَ) بمعنى أملهن إليك حذف من الكلام والمعنى : أملهن إليك فقطعهن . ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا، فحذف الجملة لدلالة الكلام عليها ... وقوله (إليكَ) إنْ جعلت (صُرهن) بمعنى قطعهن كان (إليكَ) متعلقا بـــ(خذ) أي : خُذ إليكَ أربعة من الطير فقطعهن ، ثم اجعل . وإن جعلته بمعنى أملهن : احتمل (إليكَ) أن يكون متعلقا بـــ(خذ) ، وأن يكون متعلقا بـــ(صُرهن) . وقياس قول سيبويه أن يكون متعلقا بقوله: (فصرهن) ، لأنه أقرب إليه "[٢٩] .وصرّح ابن هشام أن " الْمُتَبَادر تَعلُّق (إِلَى) بصُرهن وَهَذَا لا يَصح إِذا فُسِّر (صرهن) بقطعهن ، وَإِنَّمَا تعلقه بـ(خذ) وَأما إِن فُسِّر بـ(أملهن) فالتعلق بِهِ "[٣٠]، وذهب أبو البقاء العكبري إلى أن الأجود أن تكون (إليكَ) حالاً من المفعول المضمر، والتقدير : فقطّعهن مقرّبةً أو مُمالةً إليك[٣١] . وعلى إثر ما تقدّم يمكن طرح افتراض مفاده : لو أن النص القرآني ورد كما يأتي : (فَخُذ أربعةً مِنَ الطيرِ فصُرهُنَّ ثُمَّ اجعَل...) من دون ذكر (إليكَ) ، فهل سيقول أحد من المفسرين بأن المراد من (صُرهن) الإمالة أو الضم ؟ الجواب : لا ؛ لأنهم مؤمنون من الروايات والأحاديث أنه (عليه السلام) قطّع الطيور ، لذا يجب تفسير فعل الصَّر بالقطع ، لكن وجود (إليكَ) لا يتلاءم وهذا القول ؛ لأن القطع لا يتعدى بـــ(إلى)، فلجأوا إلى التقديم والتأخير " من غير دليل ملجئ إلى إلتزامه خلاف الظاهر "[٣٢]، لذلك يُلحظ التأثير الذي أحدثه حرف الجر (إلى) في التركيب ، فإن وجوده يقتضي أن يُفسَّر فعل (الصَّر) بمعنى الميل أو الضم ، أما القطع فيدل عليه ما بعده في قوله تعالى: (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً) فـ(جُزْءاً) تدل على أن إبراهيم (عليه السلام) قام بتجزيء الطيور .يُفهم مما تقدّم أن الفعل الكلامي (فصُرهن إليكَ) يتضمن فعلا قضويا وهو ضم الطيور إليه (عليه السلام) ليتعرف عليها جيدا ، أو استمالة الطيور في حال دعوتها إليه، وكذلك يتضمن فعلا إنجازيا يشتمل على قوة إنجازية واحدة وهي الأمر بصرِّ الطيور إليه ، وبذلك فهو فعل كلاميّ مباشر .

- وقال تعالى :﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٣٣] .

يُبيّن الآلوسيّ أن السؤال الذي طرحه عيسى (عليه السلام) موجَّه إلى الحواريين خاصة؛ وذلك لقوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾[٣٤] ، أما كون السؤال موجَّه إلى جميع بني إسرائيل لقوله تعالى : (فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ) فليس بشيء ؛ لأن الآية ليست بنص على المدعى ، ويمكن وقوع التفرق بينهم بإيمان بعضهم وكفر الآخرين عند تبليغ الدعوة إلى الجميع[٣٥] .أما سبب طلب النصرة ، فيقدّم الفخر الرازي احتمالاً لذلك ، وهو أن عيسى (عليه السلام) إنما طلبها في آخر أمره ، وقد كان اليهود يطلبون قتله ، فقال للحواريين: أيكم يُحبُّ أن يكون رفيقي في الجنة على أن يُلقى عليه شبهي فيُقتل مكاني ، فأجابه إلى ذلك بعضهم ، ويضيف أن الغرض من طلبه للنصرة هو استقدامهم لدفع الشر عنه، أو أن يكون الغرض من ذلك هو دعوتهم إلى القتال مع الذين آمنوا به ضد الذين كفروا بدعوته[٣٦].

ولعل الغرض من طلب النصرة هو تحقيق رسالة الله تعالى ، والمعنى : من الذي ينصرني إلى أنْ أؤدي رسالتي؛ لأن الأنبياء عندما يطلبون النصرة يكون الهدف هو تحقيق رسالة الله تعالى ، وليس لمجرد الدفاع عنهم حتى لا يُقتلون ، فالموت واقع عليهم ، سواء أكان حتف الأنف أم قتلاً ، قال ابن نباتة السعديّ[٣٧]:

ومَن لم يمُتْ بالسيفِ ماتَ بغيرِهِ تنوَّعتِ الأسبابُ والداءُ واحدُ

ومما لا شكَّ فيه أن هذا الأمر معلوم لدى الأنبياء ومدرك عندهم ، فلا يُعقل أن يكون طلب عيسى (عليه السلام) للنصرة هو لدفع الضر عنه ، بل هو لأمر أكبر من ذلك ، وهو ضمان إكمال الرسالة الإلهية التي بُعث من أجلها .أما قوله تعالى : (إلى اللهِ) ، فقد ذهب بعض أهل التفسير إلى أن المعنى هو: مع الله ، فقد ناب (مع) مناب (إلى)[٣٨] ، وردّ الزجاج هذا الادّعاء قائلاً : " و (إلى) ههنا إنما قاربت (مع) معنىً بأن صار اللفظ لو عُبِّر عنه بـ(مع) أفاد مثل هذا المعنى، لا أن (إلى) في معنى (مع) ... فالمعنى : يضيف نصرته إياىَّ إلى نصرة الله. وقولهم إن (إلى) في معنى (مع) ليس بشيء . والحروف قد تقاربت في الفائدة، فيظن الضعيف العلم باللغة أن معناهما واحد "[٣٩] .أما الزمخشريّ فنصَّ على أن تركيب (إلى الله) " من صلة أنصاري مضمناً معنى الإضافة ، كأنه قيل : من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ، ينصرونني كما ينصرني ، أو يتعلق بمحذوف حالاً من الياء، أي : من أنصاري ، ذاهبًا إلى الله ملتجئا إليه "[٤٠] ، ففي كلامه التفاتة لطيفة في تقدير المعنى ، وهو أن نصرة الله تعالى معدّة أو حاصلة لعيسى (عليه السلام) من خلال الحواريين الذين معه ، فنصرتهم له (عليه السلام) هي بمثابة نصرة الله تعالى له .ويقدّم الفخر الرازيّ تقديرات أخرى للمعنى دون أن يرجح أحدها على الآخر ، منها أن يكون التقدير : من أنصاري فيما يكون قربة إلى الله ووسيلة إليه ، أو أن يكون (إلى) بمعنى اللام ، كأنه قال : من أنصاري لله ، وقد يكون (إلى) بمعنى (في)، أي : من انصاري في سبيل الله تعالى[٤١] .ولعل المراد – والله أعلم – هو : مَن أنصاري بعد أنْ أُرفع إلى الله تعالى ؛ لقوله عزّوجل :﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[٤٢] ، فالمراد من نصرة عيسى (عليه السلام) بعد رفعه هو الدعوة بدعوته للإيمان بالله تعالى ، والإيمان بأن المسيح رسول من عنده تعالى ، لذلك كان جواب الحواريين هو (نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) ، فهذا يدل على أنهم علموا برفع عيسى (عليه السلام) ، وأنه لم يُصلب ، وإلاّ لذبّوا عنه بأنفسهم وقُتلوا معه، وحالوا بينه وبين الطالبين بقتله . ومن جانب آخر يدل جواب الحواريين على أنهم سيتابعون الدعوة بدعوة عيسى (عليه السلام) ، والذي يُسَخِّر نفسه لهذا الهدف السامي جديرٌ أن يوصف بأنه من أنصار الله تعالى ، ومن أجل ذلك تفرقوا في البلدان يدعون إلى عبادة الله والإيمان بالمسيح ، فوقع عليهم القتل والتعذيب والمطاردة والتشريد من الحكام آنذاك .ونصَّ الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ على أن الحواريين لم يقولوا : نحن أنصارك ؛ وذلك " لكي يُعربوا عن منتهى إيمانهم بالتوحيد وليؤكدوا إخلاصهم ، ولكي لا يُشم من كلامهم أي رائحة للشرك ، قالوا : نحن أنصار الله ، ننصر دينه ... لعلهم قد شمّوا منذ ذلك اليوم رائحة الانحراف في المستقبل ، وأن هناك من سيدّعي ألوهية عيسى من بعده ، فسعوا ألاّ يكون في كلامهم ما يمكن أن يتذرعوا به "[٤٣] .وعلى أساسٍ مما سبق ، فإن الفعل الكلامي (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) يحتوي افتراضا سابقاً وهو احتياج عيسى (عليه السلام) للنصرة ؛ لتحقيق تبليغ رسالة الله تعالى ، ويتضمن فعلا إنجازيا يشتمل على قوتين إنجازيتين ، الأولى متمثلة في الاستفهام اللفظي ، والأخرى متمثلة في طلب النصرة من الحواريين ، وبذلك فهو فعل كلامي غير مباشر ، وكذلك يتضمن فعلا إنجازيا يتمثل في أمرين : الأول في جوابهم (نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) ، والآخر في سعيهم بالعمل على تحقيق تلك النصرة من خلال إكمال رسالة الله تعالى بدعوة الناس إلى المسيحية .

– قال تعالى :﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[٤٤] .استوقف تعدي فعل (الأكل) بـ(إلى) المفسرين ، فذهب بعضهم إلى القول بأن (إلى) بمعنى المصاحبة على أساس التناوب بين حروف المعاني ، والتقدير : مع أموالكم[٤٥] ، لكن جُلَّ المفسرين يرون أن المقصدية كامنة في الفعل وليس في حرف الجر ، فجعلوه بمعنى الإضافة أو الضم ، على أساس تضمين الفعل معنى فعل آخر ، والتقدير : لا تُضيفوا أموالهم إلى أموالكم[٤٦] ، فيكون (إلى) على بابه ، ولعل السبب في اللجوء إلى هذه التقديرات هو عدم تعدي فعل الأكل بـ(إلى) في المتعارف عليه من كلام العرب .ونصَّ القاسميّ (ت١٣٣٢هـ) على أن في هذا التركيب مراعاة للحالة النفسية للمتلقي ، وهذه المراعاة اقتضت الإتيان بـ(إلى) مع فعل الأكل ، فالنهي كلما كان أقبح كانت النفوس منه أنفر ، ولا شك أن المستقر في النفوس أن الاستحواذ على أموال اليتامى مع الغنى من أقبح الصور ، لذا خصّص الذكر الحكيم في (إِلَى أَمْوَالِكُمْ)؛ تشنيعا على من يقع فيه ، حتى إذا استحكم نفورهم من أكل مال اليتامى على هذه الصورة الشنعاء دعاه ذلك عن الإحجام عن التعدي على أموالهم مطلقاً ، ففي هذا تدريب لنفس المخاطَب على النفور عن المحارم . أما الحكمة من النهي بالأكل ؛ لأن العرب كانوا يتذممون بالإكثار من الأكل ، ويعدون البطنة من البهيمية ، ويعيبون على من اتخذها ديدنه ، فلما كان الأمر كذلك خصّ النهي به ، حتى

إذا نفرت النفس منه بمقتضى طبعها المألوف جرّها ذلك إلى النفور من صرف مال اليتيم[٤٧].فتُلحظ مراعاة الذكر الحكيم للحالة النفسية للمتلقي ، فضلا عن مراعاة الحالة الاجتماعية للأفراد في ذلك الزمن ، وذلك بإيثار ذكر لفظة (الأكل) بدلاً من الألفاظ الأخرى الدالة على الاستحواذ ؛ لأنه كما تقدّم مذموم من اتخذه ديدنه ، لذا خصّص النهي به . أما تعديته بـ(إلى) فقد يكون المراد منه هو ألاّ تكون زيادة أموال الأوصياء على حساب أموال اليتامى ، لكون غايتهم زيادتها ، والله أعلم .وعلى أساس مما تقدّم ، يكون الفعل الكلامي (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ) متضمنا لفعل قضويٍّ هو السطو أو الاستحواذ على أموال اليتامى ، ومتضمنا لفعل إنجازي يشتمل على قوة إنجازية واحدة ، وهي النهي عن هذا الاستحواذ ، وبذلك فهو من الأفعال الكلامية المباشرة .

- قال تعالى :﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[٤٨] . وردت الآية الكريمة في سياق قصة نبي الله هود (عليه السلام) وإرساله إلى قوم عاد، ودعوته إياهم إلى الإيمان بالله تعالى .وأورد بعض أهل التفسير أن (إلى) في الفعل الكلامي : (يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) بمعنى (مع)[٤٩] ، وأورد بعضهم الآخر جواز تعلّق (إلى) بـــ(يَزِدْكُمْ) على التضمين ، والمعنى : يضيف إلى قوتكم قوةً أخرى ، أو أن يكون (إِلَى قُوَّتِكُمْ) صفة لـــ(قُوَّةً) فيتعلّق (إلى) بمحذوف ، والتقدير : مضافةً إلى قوتكم ، وهذا يأباه النحويون ؛ لأنهم لا يقدّرون إلاّ الكون المطلق في مثله[٥٠] .من هنا وضع السؤال الآتي : هل يكون لقوله تعالى : (إِلَى قُوَّتِكُمْ) فائدة في بيان معنى الزيادة لو ورد الخطاب على النحو الآتي : يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ؟ يُفهم من هذا أن شبه الجملة (إِلَى قُوَّتِكُمْ) أوضحت افتراضا سابقا ، وهو أن قوم عاد أصحاب قوة – بغض النظر عن طبيعتها – وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في موضع آخر على لسانهم في قوله تعالى :﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [٥١] ، لذلك جعل الله تعالى الزيادة في قوتهم جزاءً على تركهم الشرك والإيمان به؛ لأن الأمة القوية تكون في غنىً عن باقي الأمم ، وقادرة على حفظ نفسها ، ويجعل الأمم الأخرى محتاجة إليها[٥٢] .من جانب آخر ، يمكن أن يكون المعنى المراد من (إِلَى قُوَّتِكُمْ) هو أن القوة التي يريد الله تعالى زيادتها فيهم غير القوة التي يمتلكونها ، فإذا كانوا أقوياء في البُنية الجسدية مثلا ، سيزيدهم الله عزّ وجل قوة أخرى ، كأن تكون الذكاء والعبقرية ، أو تكثير الأفراد والأولاد ، وغير ذلك ، الحاصل أنه يُفهم من (إلى) أن القوة الأولى هي خلاف القوة الثانية ، وهذا المعنى أدركه أبو العلاء المعرّي إذ قال[٥٣] :

إذا زادكَ المالُ افتقاراً وحاجةً إلى جامعيهِ فالثراءُ هو الفقرُ

فإن الافتقار خلاف الاحتياج ، لذا قال : إلى جامعيهِ ، ومثله قول السري الرفاء[٥٤] :

ما كفَّ شاديَهُ اعتراضُ عِتابِهِ بلْ زادَهُ طرباً إلى أطرابِهِ

فالطرب المُزاد غير الطراب التي لديه . وهذا المعنى لا يتحصّل لو قيل : ويزدكم قوةً مع قوتكم ، فالمفهوم من هذا أن القوتين من جنس واحد ، وهو خلاف المقصود ، والله أعلم .يفهم مما سبق أن الفعل الكلامي (يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) يتضمن فعلاً انجازيا ، يشتمل هذا الفعل على قوة إنجازية واحدة وهي الإخبار عن هذه الزيادة إلى قوتهم ، وبذلك فهو فعل كلامي مباشر .

- قال تعالى : ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[٥٥] . إن الخطاب في الآية الكريمة موجّه إلى مريم **(عليها السلام)** ، فقد روي عن ابن عباس أن المخاطِب كان جبرائيل (عليه السلام) ، وعن سعيد بن جبير أن المنادي لها هو عيسى (عليه السلام)[٥٦] ، ومما استدل به الفخر الرازي على أن المنادي لها هو عيسى (عليه السلام) ما يأتي :

١- إن قوله تعالى (فَنَادَاهَا) لابد لفاعله أن يكون قد تقدّم ذكره ، وقد تقدم قبل هذه الآية ذكر جبرائيل وعيسى (عليهما السلام) ، إلاّ أن ذكر عيسى أقرب لهذا الموضع؛ لقوله تعالى : (فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ) ، والضمير ههنا عائد إلى عيسى (عليه السلام) ، فكان الحمل على أنه هو المنادي لها أولى .

٢- ما روي عن الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) ، أن عيسى (عليه السلام) لو لم يكن كلّمها لما علمت أنه يستطيع الكلام ، فما كانت لتُشير إليه بالكلام . فالمعنى أنه تعالى انطقه لها حين وضعته تطييبا لقلبها وإزالة للوحشة عنها حتى تشاهد ما بشّرها به جبرائيل (عليه السلام) من علو شأن هذا المولود[٥٧] .ويرى أبو حيان الأندلسيّ أن (إلى) في الظاهر متعلّق بـــ(هُزِّي) ، لكن هذا التركيب جاء على خلاف ما تقرر في علم النحو ، فلا يقال : هززتُ إليكَ ، ولا : زيدٌ هزَّ إليه ، وعلى هذا فهو يتأول أن قوله (إِلَيْكِ) ليس متعلقا بـ(هُزِّي) ، إنما ذلك على سبيل البيان ، والتقدير : هزي ، أعني إليكِ . فهو متعلق بمحذوف[٥٨] .أما صاحب كتاب (الدر المصون) فينص على أن في التركيب محذوفا تقديره : هُزِّي إلى جهتكِ أو نحوكِ[٥٩] ، ويرى البقاعي (ت٨٨٥هـ) أن المراد هو إيقاع الهز، الذي يكون جذباً بتحريك ، ولمّا كان المقصود التهويل لصرف فكرها عمّا أصابها من الهم جعل الفعل قاصراً ، فكأنها قالت : ما أهز ؟ إذ لم يكن في ذلك الجذع ما يُتوقّع منه

النفع بهزّه ، فقال مصرحاً بالمهزوز (جذع النخلة) التي أنتِ تحتها ، مع يبسها وكون الوقت ليس وقت إثمارها[٦٠] وينقل العلامة الطبرسيّ ما روي عن أن هذا الجذع كان معروفا في تلك المنطقة، فـــ(ال) التعريف هنا للعهد وليس للجنس ، وكان هذا الجذع يابساً لا ثمرَ عليه ، إذ لو كان مثمرا لهزته من دون أن تؤمر بذلك ، وكان الوقت شتاءً فأصبح معجزة بخـــروج الرطب في غير أوانه ، وكذلك روي أنه لم يكن لهذا الجـــذع رأس، فضربته برجلها فأورقت النخلة وأثمرت وانتثر الرطب عليها[٦١] .على إثر ما تقدّم تُطرح الأسئلة الآتية : ما علاقة (إلى) بهز الجذع ؟ وإذا كان الهز هو الجذب بتحريك ، فبأيّ شـيء ستجذب الجذع إليها ؟ وهل سيُفهم من التركيب المعنى نفسه إذا كان خالياً من (إليكِ) ؟ فلابد من مقصدية عميقة في إيثار الذكر الحكيم تعدية (الهز) بـ(إلى) .ولعل المراد من هذه التعدية أن جذع النخلة حين أثمر بالرطب ، انحنى على مريم (عليها السـلام) لتستظل به ، عندئذٍ أُمرت بهزه ، فأمسكت إحدى السعفات وجذبته إليها ، والذي يهز إحدى سعفات النخلة سيهز – بطبيعة الحال – جذعها ، وعلى إثر ذلك سيسقط منها الرطب .وبناءً على ذلك يكون المعنى : وهُزّي إليكِ بسعفةٍ جذعَ النخلةِ ، لذا مجيء (إلى) في هذا الموضع يوضح هذا المقصد ، وعدم ذكر (إلى) سيدل على أنها يجب أن تهز الجذع كله ، ومريم (عليها السلام) ليست لديها القوة الكافية لذلك – وهي في تلك الحالة– على هز الجذع ليسقط الرطب عليها ، والله تعالى أعلم .ويفهم مما تقدّم أن الفعل الكلامي (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) يتضـمن فعلا قضـوياً وهو هزّ الجذع ، وتضـمن فعلا إنجازيا مشـتملا على قوة إنجازية واحدة وهي الأمر ، وبذلك فهو فعل كلامي مباشر .

– قال تعالى :﴿ اسْـلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَـاءَ مِنْ غَيْرِ سُـوءٍ وَاضْـمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾[٦٢] .إن الآية الكريمة واردة في سياق قصة سيدنا موسى (عليه السلام) وإظهار معجزة عصاه وابيضاض يده ، وهي معاجز أرسِل بها إلى فرعون وملئه ليؤمنوا بالله تعالى .

يقدّم الزمخشريّ معنيين للفعل الكلامي (اضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) ، هما[٦٣] :

الأول : أدخل يدكَ تحت عضدكَ ؛ لأنه (عليه السلام) لمّا قُلبت العصا ثعبانا فزع واضطرب ، واتّقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء ، فقيل له : إن فعلك هذا فيه غضاضةٌ[٦٤] لك عند عدوّك ، لذا ادخل يدك تحت عضدك ؛ لتجنب الخوف واجتناب ما فيه غضاضة عليك .والآخر : أن يراد من هذا التركيب هو التجلد وضبط النفس ، والتشدد عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب ، وذلك استعارة من فعل الطائر؛ لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما ، وإلاّ فجناحاه مضمومان إليه مشمران . ومن نحو ذلك قول أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)[٦٥] :

أُشدُد حيازِمَكَ للموتِ فإنّ الموتَ لاقيكا

فليس المراد من الشد هو الربط والضم ، وإنما المراد هو التأهب للموت ، والاستعداد للقائه حتى لا يُهاب لقاؤه ، ولا يُجزع عند وقوعه[٦٦] . وقد ذهب غير واحد من المفسرين إلى أن المقصود من (اضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) هو مجاز عن تسكين الروع وتثبيت الجأش ، فلم يقصد الضم بين شـيئين ، وإنما أمر بالعزم والجد في الإتيان بما طلب منه ، ففي التركيب تمثيل بحال الطائر حين يسـكن عن الطيران أو الدفاع عن نفسه ، فجُعل ذلك كناية عن سكون اضطراب الخوف ، والمعنى : انكفف عن التخوف عن أمر الرسالة[٦٧] .وكأن هذا التركيب صار مثلاً يجري بين الناس يُضـرب لمن يُطلب منه إلتزام السـكون وعدم الاضـطراب ، من ذلك ما روي عن " عمر بن عبد العزيز أنّ كاتبا له كان يكتب بين يديه ، فانفلتت منه فلتة ريح ، فخجل وانكسـر، فقام وضـرب بقلمه الأرض ، فقال له عمر: خُذ قلمكَ ، واضـمم إليكَ جناحكَ ، وليفرخ روعكَ ، فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي "[٦٨] .يُستفاد مما تقدّم أن (إلى) واقع في تركيب يُضرب مثلا لطلب السكون ورباطة الجأش ، كما في (هوّن عليك) و (دَعْ عنكَ) ، وبذلك فإن الفعل الكلامي (اضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) متضمن فعلاً قضوياً وهو ضـم الجناح ، ومتضـمن فعلاً إنجازيا يشـتمل على قوة إنجازية واحدة هي الأمر بالسـكون من الاضـطراب والانكفاف عن الخوف ، فكان بذلك فعلا كلاميا مباشرا .

– قـال تعـالى :﴿ قُـلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦٩] .ذهب بعض المفسـرين إلى أن (إلى) في الفعل الكلامي (يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) هو بمعنى اللام[٧٠] ، وذهب بعضـهم الآخر إلى أنه بمعنى (في) ، أي : يجمعكم في يوم القيامة[٧١] ، لكن هل يعجز الذكر الحكيم عن الإتيان بلفظ (في) الصريح بدلاً من (إلى)، ما لم يكن وراء ذلك قصد معين ؟ فلا غروَ من وجود معنى اقتضى الإتيان بـــ(إلى) بدلاً من (في) أو اللام ، ولعل الأمر الذي حدا بالمفسرين إلى القول بالنيابة هو عدم ورود تعدي فعل الجمع في اللغة بـــ(إلى) ، فيقال : جمعتُ العنبَ في السـلة ، ولا يقال: إلى السـلة ، فجاء التعبير القرآني بتركيب يُخالف المألوف ؛ لينبّه المتلقي على وجود قصـد من ذلك ، وهو – والله أعلم – أن جمع الخلائق يكون شـيئاً فشـيئاً ، من خلال إماتتهم على شكل زُمرٍ ، حتى وقت حدوث يوم القيامة ، وأن الغاية التي تنتهي عندها كل الأعمال في دار المَمر هي دار المقر (الآخرة) .

وقد يكون القصـــد من ذلك هو جمع الناس بعد بعثهم من قبورهم إلى مكان يوم القيامة ، وهو على غير هذه الأرض ، يقول تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾[٧٢] ، ويقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿يُحشرُ الناسُ يومُ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عَفرَاءَ ، كقُرصَةِ النَّقيّ ، ليس فيها علمٌ لأحد﴾[٧٣] ، لذا يمكن أن يكون المقصود هو : ثم يجمعكم الله من مكان بعثكم من قبوركم إلى مكان حسابكم ، على غير هذه الأرض ، وهذا البعث والجمع يحدثان في يوم القيامة ، الذي من أسمائه: يوم البعث، ويوم الجمع ، ويوم الحساب ، والله أعلم .وعلى أســاسٍ مما تقدّم ، فإن الفعل الكلامي (يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) متضــمن لفعل قضــويٍّ وهو الجمع للحســاب في يوم القيامة ، ومتضـمن لفعل إنجازيٍّ يشـتمل على قوتين إنجازيتين ، الأولى هي الإخبار بأن الله تعالى سـيجمع الناس إلى يوم القيامة لا ريب فيه ، والأخرى هي التنبيه على أن الخلائق كلها ســتجمع للحســاب في ذلك اليوم، وهذا فيه إشــارة إلى أنه تعالى خالق عادل ، منزّهٌ عن الجور والظلم ، وهذا يقتضي صحة البعث والقيامة[٧٤] ، وبذلك فهو فعل كلامي غير مباشر .

الخاتمة :

خرج البحث بنتائج يمكن بيان أهمها بما يأتي :

١-إنّ التداولية بوصــفها منهجًا حديثًا خليقة بأن تكون معيارًا مهمًا لدراســة المعنى والوقوف عند المقصــد ، ذلك لأنها تنطلق من إطار ونظرة فاحصة تدرس حيثيات الخطاب وصولاً إلى مقصد المتكلم .

٢-أشـار البحث إلى وقوع الاختلاف بين المفسرين في مقصـد الفعل الكلامي المشـتمل على حرف الجر (إلى) بسبب عدم إحاطة بعضهم بخصوصيات المقام للخطاب .

٣- يؤدي حرف الجر (إلى) أثرًا بالغًا في التعبير وبيان المراد بضـــميمة تراكيب الفعل الكلامي ، ومن ثَمَّ الإنجاز والتأثير . مثال ذلك أن الفعل الكلامي (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ) هو فعل متضمن لقوتين إنجازيتين ، الأولى هي الإخبار، والثانية هي التنبيه أو التحذير ، والفعل الكلامي من النوع غير المباشـر . وأن الفعل الكلامي (أُحلَّ لكم ليلة الصـيام الرَّفثُ إلى نسـائكم) متضـمن لفعل قضـويّ هو تحليل الجماع ليلة الصــيام ، ومتضــمن لقوة إنجازية واحدة هي الإخبار عن هذه الحِلّية، فهو بذلك فعل كلامي مباشــر ، والفعل التأثيري متمثل بالفرح الشديد الذي حفَّ بالمسلمين وأحاط بهم بعد تلقي هذا الإخبار . وأن الفعل الكلامي (فصُرهن إليكَ) يتضـمن فعلا قضـويا وهو ضـم الطيور إليه (عليه السلام) ليتعرف عليها جيدا ، أو اســتمالة الطيور في حال دعوتها إليه، وكذلك يتضــمن فعلا إنجازيا يشــتمل على قوة إنجازية واحدة وهي الأمر بصرِّ الطيور إليه ، وبذلك فهو فعل كلاميّ مباشر .

٤-في بعض الأحيان قد يخرج مقصـد المتكلم عن تلبية القاعدة التي تعمل على تقييد الدلالة النحوية لحرف الجر (إلى) ، فالقصـد غير مقيد بتركيب معين لا يبارحه ، ولا التركيب يعبر عن مقصود معين .

الهوامش :

[١]) ينظر: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي : ١٣٠/١ .

[٢]) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ١٤ .

[٣]) ينظر : نفسه : ٧١ .

[٤]) التداولية عند العلماء العرب : ٢١٧ .

[٥]) ينظر: المصدر نفسه : ١١ .

[٦]) البقرة : ١٤ .

[٧]) ديوان قيس بن الملوح : ١١١ .

[٨]) ديوان عمر بن أبي ربيعة : ١٣١ .

[٩]) ينظر: العين : ٣٠٦/٤ (خ ل و) .

[١٠]) ينظر: الصحاح : ٢٣٣٠/٦ (خ ل ا) , لسان العرب : ٢٣٩/١٤ .

[١١]) جامع البيان : ٣٠٩/١ . وينظر: معاني القرآن : الأخفش :٥١/١ , الدر المصون : ١٤٥/١ .

[١٢]) الكشاف : ١٨٣/١, ١٨٤ .

[١٣]) ينظر: المحرر الوجيز : ٩٦/١ .

[١٤]) البقرة : ١٨٧ .

[١٥]) لسان العرب : ١٥٣/٢- ١٥٤ (ر ف ث) .

[١٦]) معاني القرآن : الأخفش : ١٣٩/١-١٤٠ .

[١٧]) ينظر: الكشاف :٣٨٨/١, المحرر الوجيز :٢٥٦/١, مجمع البيان :١٧/٢, التفسير الكبير:١١٣/٥ .

[١٨]) الكشاف :٣٨٨/١ .

[١٩]) مجمع البيان : ١٨/٢ .

[٢٠]) ينظر: أسباب النزول : ٥١ .

[٢١]) ينظر: محاسن التأويل : ٤٥١/٣ .

[٢٢]) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ٤٦/٢ .

[٢٣]) البقرة : ٢٦٠ .

[٢٤]) ينظر: الأضداد في اللغة : ٣٦ , الأضداد في كلام العرب: ٢٦٨ .

[٢٥]) ديوان كثير عزة : ٣١٣ .

[٢٦]) ديوان الطرماح : ١٨٤ .

[٢٧]) ينظر: التفسير الكبير : ٤٥/٧ .

[٢٨]) ينظر: الكشاف : ٤٩٣/١, ٤٩٤ , التحرير والتنوير : ٤٠/٣ .

[٢٩]) مجمع البيان : ١٤٣/٢ .

[٣٠]) مغني اللبيب : ١٨٩/٢ .

[٣١]) ينظر: إملاء ما منّ به الرحمن : ١١١/١ .

[٣٢]) التفسير الكبير : ٤٥/٧ .

[٣٣]) آل عمران : ٥٢ .

[٣٤]) الصف : ١٤ .

[٣٥]) ينظر: روح المعاني : ١٧٥/٣ .

[٣٦]) ينظر: التفسير الكبير : ٦٨/٨ .

[٣٧]) ديوان ابن نباتة السعدي : ٥٦٧/٢ .

[٣٨]) ينظر: تفسير غريب القرآن:١٠٦ , جامع البيان : ٤٣٦/٥ .

[٣٩]) معاني القرآن: الزجاج : ٤١٦/١ . وينظر: المحرر الوجيز : ٤٤٢/٥ .

[٤٠]) الكشاف : ٥٦١/١ . وينظر: التحرير والتنوير : ٢٥٥/٣ .

[٤١]) ينظر: التفسير الكبير : ٦٩/٨ .

[٤٢]) آل عمران : ٥٥ .

[٤٣]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٢٩٠/٢ .

[٤٤]) النساء : ٢ .

[٤٥]) ينظر: أدب الكاتب : ٥١٦ , حروف المعاني : ٦٥ .

[٤٦]) ينظر: الكشاف :١٢/٢, ١٣, التفسير الكبير : ١٧٦/٩, الدر المصون :٥٥٧/٣, نظم الدرر :١٨٧/٥, فتح القدير :٦٧٦/١ .

[٤٧]) ينظر: محاسن التأويل : ١١٠٣/٥ .

[٤٨]) هود : ٥٢ .

[٤٩]) ينظر: معالم التنزيل : ١٨٣/٤ .

[٥٠]) ينظر: التبيان في إعراب القرآن :٤٥٤/٢ , اللباب في علوم الكتاب :٥٠٦/١٠, ٥٠٧ .

[٥١]) فصلت : ١٥ .

[٥٢]) ينظر: التحرير والتنوير : ٩٦/١٢, ٩٧ .

[٥٣]) اللزوميات : ٣٠٠/١ .

[٥٤]) ديوان السري الرفاء : ٣٦ .

[٥٥]) مريم : ٢٥ .

[٥٦]) ينظر: التبيان في تفسير القرآن : ١١٧/٧ .

[٥٧]) ينظر: التفسير الكبير : ٢٠٥/٢١ .

[٥٨]) ينظر: البحر المحيط : ١٧٣/٦, ١٧٤ .

[٥٩]) ينظر: الدر المصون : ٥٨٧/٧ .

[٦٠]) ينظر: نظم الدرر : ١٨٩/١٢ .

[٦١]) ينظر: مجمع البيان : ٣٢٠/٦ .

[٦٢]) القصص : ٣٢ .

[٦٣]) ينظر: الكشاف : ٤٩٩/٤, ٥٠٠ .

[٦٤]) الغَضَاضَة هي الذلة أو المنقصة أو العيب, يقال:لا غضاضة عليك, أي: لا عيب. ينظر: المعجم السيط: ٦٥٤.

[٦٥]) ديوان الإمام علي (عليه السلام) : ١٢٠ . وينظر: لسان العرب :١٣٢/١٢ (ح ز م) .

[٦٦]) ينظر: المخصص: ٥/٢ .

[٦٧]) ينظر: التفسير الكبير :٢٤٧/٢٤, ٢٤٨ , غرائب آي التنزيل :٣٨٩, التحرير والتنوير :١١٤/٢٠ .

[٦٨]) الكشاف :٥٠٠/٤ . وينظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: ١٢١/٥ .

[٦٩]) الجاثية : ٢٦ .

[٧٠]) ينظر: معالم التنزيل : ٢٤٦/٧ .

[٧١]) ينظر: روح المعاني : ١٥٥/٢٥ .

[٧٢]) إبراهيم : ٤٨ .

[٧٣]) صحيح مسلم : ٢٩٢ .

[٧٤]) ينظر: التفسير الكبير : ٢٧٢/٢٧ .

المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم .**

١) **أدب الكاتب** : أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) , تحق: محمد الدالي, (د.ط), مؤسسة الرسالة , بيروت , (د.ت).

٢) **أسباب النزول** : أبو الحسن عليّ بن الحسين بن أحمد الواحديّ (ت٤٦٨هـ), تخريج وتدقيق: عصام بن عبدالحسن الحميدان, ط٢, دار الإصلاح, الدمام, ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

٣) **الأضداد في اللغة** : محمد بن القاسم بن بشّار الأنباري (ت٣٢٨هـ), تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم, (د.ط), المكتبة العصرية، بيروت, ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٤) **الأضداد في كلام العرب** : أبو الطيب عبدالواحد بن عليّ اللغوي (ت٣٥١هـــ), تحق: عزة حسن, ط٢, دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر, دمشق, ١٩٩٦م.

٥) **آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر**: محمود أحمد نحلة, ط١, مكتبة الآداب, القاهرة, ١٤٣٢هـ-٢٠١١م .

٦) **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل** : ناصر مكارم الشيرازي, ط١, مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام), قُم, ١٤٢٦هـ .

٧) **إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن** : أبو البقاء عبدالله بن الحسين العُكبريّ (ت٦١٦هـ), (د.ط), دار الكتب العلمية, بيروت, (د.ت).

٨) **البحر المحيط** : أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ) , تحق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون, ط١, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

٩) **التبيان في إعراب القرآن** : أبو البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله العُكبريّ (ت٦١٦هـ), تحق: سعد كريم الفقي, ط١, دار اليقين , ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

١٠) **التبيان في تفسير القرآن** : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ), تحق: أحمد حبيب قصير العاملي, (د.ط), دار إحياء التراث العربي, بيروت, (د.ت) .

١١) **التحرير والتنوير**: محمد الطاهر بن عاشور(ت ١٣٩٣هـ), (د.ط), الدار التونسية للنشر, تونس, ١٩٨٤م .

١٢) **التداولية عند العلماء العرب** : مسعود صحراوي , ط١, دار الطليعة , بيروت, ٢٠٠٥م.

١٣) **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (تفسير الفخر الرّازي)** : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرّازي الملقب بفخر الدين الرّازي (ت٦٠٦هـ), ط١, دار الفكر, ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

١٤) **تفسير غريب القرآن** : أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ), تحق: أحمد صقر, (د.ط), دار الكتب العلمية, بيروت, ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

١٥) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)** : أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ (ت٣١٠هـ), تحق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي, ط١, دار هجر, القاهرة, ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

١٦) **حروف المعاني** : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ (ت٣٤٠هـ), تحق: علي توفيق الحمد, ط٢, مؤسسة الرسالة, بيروت, ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

١٧) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** : أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسَّمين الحلبيّ (ت٧٥٦هـ), تحق: أحمد محمد الخرّاط , (د.ط), دارالقلم, دمشق, (د.ت).

١٨) **ديوان ابن نباتة السعدي** : أبو نصر عبدالعزيز بن عمر بن نُباتة السَّعديّ (ت٤٠٥هـ), تحق: عبدالأمير مهدي حبيب الطائي, (د.ط), منشورات وزارة الثقافة والإعلام, بغداد, ١٩٧٧م .

١٩) **ديوان السرِّيّ الرَّفّاء** : أبو الحسن السَّري بن أحمد بن السَّري (ت٣٦٦هـ), تقديم وشرح: كرم البستاني, مراجعة: ناهد جعفر, ط١, دار صادر, بيروت, ١٩٩٦م .

٢٠) **ديوان الطِّرمّاح** : الطِّرمّاح بن الحكيم بن الحكم (ت١٢٥هـ), تحق: عزة حسن, ط٢, دار الشرق العربي, بيروت, ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

٢١) **ديوان عمر بن أبي ربيعة** : أبو الخطاب عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة (ت٩٣هـ), قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: فايز محمد, ط٢, دار الكتاب العربي, بيروت, ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

٢٢) **ديوان قيس بن المُلَوَّح (مجنون ليلى)** : قيس بن المُلَوَّح بن مزاحم العامريّ (ت٦٨هـ), دراسة وتعليق: يسري عبدالغني, ط١, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

٢٣) **ديوان كثير عزة** : أبو صخر كثير بن عبدالرحمن الخزاعيّ (ت١٠٥هـ), جمعه وشرحه: إحسان عباس, (د.ط), دار الثقافة, بيروت, ١٣٩١هـ-١٩٧١م .

٢٤) **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ), تحق: عبدالأمير مهنا, ط١, منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت, ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

٢٥) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسيّ البغداديّ (ت١٢٧٠هـ), (د.ط), دار الطباعة المنيرية, دار إحياء التراث العربي, بيروت, (د.ت) .

٢٦) **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)** : إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ), تحق: أحمد عبدالغفور عطّار, ط٣, دار العلم للملايين, بيروت, ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٢٧) **صحيح مسلم** : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ), خرّج أحاديثه: صدقي جميل العطار, ط١, دار الفكر, بيروت, ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

٢٨) **العين** : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ البصريّ(ت١٧٥هـ), تحق: مهدي المخزوميّ-إبراهيم السامرائيّ, سلسلة المعاجم والفهارس, دار الرشيد للنشر, بغداد, ١٩٨٠م.

٢٩) **غرائب آي التنزيل (أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل)** : زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازيّ (ت٦٦٦هـ), تحق: عبدالرحمن بن إبراهيم المطرودي, ط١, عالم الكتب, الرياض, ١٤١٢هـ-١٩٩١م .

٣٠) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ), تحق: عبدالرحمن عميرة, (د.ط), دار الوفاء, ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣١) **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** : أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ), تحق: تحق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض, ط١, مكتبة العبيكان, الرياض, ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .

٣٢) **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي** : علاء الدين عبدالعزيز بن أحمد البخاريّ (ت٧٣٠هـ), وضع حواشيه: عبدالله محمود محمد عمر, ط١, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

٣٣) **اللباب في علوم الكتاب** : أبو حفص عمر بن عليّ بن عادل الدمشقيّ(ت٨٨٠هـ), تحق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون, ط١, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

٣٤) **اللزوميّات** : أبو العلاء أحمد بن عبدالله التنوخيّ المعريّ (ت٤٤٩هـ), تحق: أمين عبدالعزيز الخانجي, (د.ط), مكتبة الهلال, بيروت, مكتبة الخانجي, القاهرة, (د.ت).

٣٥) **لسان العرب** : أبو الفضل محمد بن مكرم بن عليّ بن منظور(ت٧١١هـ), ط٣, دار صادر, بيروت, ١٤١٤ هـ .

٣٦) **مجمع البيان في تفسير القرآن** : أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ), ط١, دارالمرتضى, بيروت, ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م .

٣٧) **محاسن التأويل (تفسير القاسميّ)** : محمد جمال الدين بن محمد القاسميّ (ت١٣٣٢هـ), وقف على طبعه وتصحيحه: محمد فؤاد عبدالباقي, ط١, دار إحياء الكتب العربية, ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م .

٣٨) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** : أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسيّ (ت٥٤٦هـ), تحق: عبدالسلام عبدالشافي محمد, ط١, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

٣٩) **المخصص** : أبو الحسن عليّ بن إسماعيل النحويّ اللغويّ الأندلسيّ المعروف بابن سيده (ت٤٥٨هـ), (د.ط), دار الكتب العلمية, بيروت, (د.ت).

٤٠) **معالم التنزيل (تفسير البغوي)** : أبو محمد الحسين بن مسعود البغويّ (ت٥١٠هـ), تحق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش, ط٤, دار طيبة, الرياض, ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٤١) **معاني القرآن** : أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ), تحق: هدى محمود قراعة, ط١, مكتبة الخانجي, القاهرة, ١٤١١هـ-١٩٩٠م .

٤٢) **معاني القرآن واعرابه** : أبو إسحاق إبراهيم بن السَّريّ الزَّجَّاج (ت٣١١هـ), تحق: عبدالجليل عبده شلبي, ط١, عالم الكتب, بيروت, ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

٤٣) **المعجم الوسيط** : مجمع اللغة العربية, ط٤, مكتبة الشروق الدولية, القاهرة, ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

٤٤) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** : أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ), تحق: محمد محيي الدين عبد الحميد, ط٢, مؤسسة الصادق, طهران, ١٣٨٧ هـ ش.

٤٥) **الميزان في تفسير القرآن الكريم** : السيّد محمد حسين الطباطبائيّ (ت١٤١٢هـ), صحّحه وأشرف على طباعته : الشيخ حسين الأعلمي, ط١, مؤسسة العلمي للمطبوعات, بيروت, ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٦) **نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)** : أوستين, تر: عبدالقادر قينيني, (د.ط), أفريقيا الشرق, ١٩٩١م .

٤٧) **النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)** : محمود عكاشة, ط١, مكتبة الآداب, القاهرة, ٢٠١٣م .

٤٨) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعيّ(ت٨٨٥هـ), (د.ط), دار الكتاب الإسلامي، القاهرة, (د.ت).